الفصل الثالث

النمو الاجتماعي والتربية الاجتماعية

تمهيد

الحياة الاجتماعية ما هى إلا مدرسة يتعلم منها الآباء والأبناء على حد سواء فلا ترتبط بعمر أو جنس بقدر ما ترتبط بطبيعة المجتمع فكل إنسان يتشىء حسب البيئة والمجتمع الذى نما وترعرع فيه والأقران والأصدقاء الذين خالطهم وتبنى شخصيته بناء على ذلك .

إن الميل القوي نحو أنواع النشاط التي يقوم بها الأقران والرغبة القوية في أن يكون الطفل عضواً مقبولاً في جماعة وعدم الشعور بالرضا عندما يكون بعيداً عنها جعلنا نطلق على هذه المرحلة سن العصبية (gang age) وذلك حتى نهاية سنوات الطفولة ، ففي هذه السن يسير النمو الاجتماعي بخطى سريعة ويتحول الطفل سريعاً من التمركز حول الذات والأنانية حيث تتميز علاقاته الاجتماعية بالصراع والخصام المستمر إلى فرد متعاون ومتوافق كعضو في جماعة اجتماعية تتكون من أقرانه .

وفي هذه المرحلة تتحول أنماط السلوك التي تجعل الطفل يبدو أقل نضجاً بأنماط أخرى أكثر نضجاً وتختفي السلبية بوصول الأطفال إلى سن السادسة وإن كانت تظهر ثانية بين الأولاد فيما بين ١٠-١١ عندما يقاومون سلطة الكبار كطريقة لتأكيد ملاءمتهم لجنسهم ويصبح الطفل أقل رضا باللعب الفردي أو بمساعدة أعضاء الأسرة في الأعمال المنزلية كما يقل رضاه باللعب مع فرد أو فردين فقط فهو يريد أن يكون مع جماعة يمكنه مع أفرادها أن يلعب الألعاب التي أصبح

يستمتع بها والمملوءة بالإثارة فمنذ دخول المدرسة وحتى بدء التغيرات المصاحبة للبلوغ تزداد قوة الرغبة في أن يكون الطفل مع جماعة وأن يكون مقبولاً منهم ولا يختلف الذكور عن الإناث في ذلك .

الدين والتطور الاجتماعي :

١ - الدين في مبدأ الأمر علاقة نرجسية صرفة بين الطفل والأب (الكامل القادر على كل شيء) وبرغم ما في هذه العلاقة من حب وتبجيل يبذلهما الطفل لأبيه إلا أن محورها هو الأنانية أو المنفعة، ولذلك يصدم الطفل حالما يتبين أن ثمة إلهاً غير أبيه ولكنه لا يلبث أن يرتضي ذلك الإله الجديد ، ضماناً للتوافق مع المجتمع المحدود الذي يعيش في كنفه .

٢- على الرغم من أن تقبل فكرة الله خطوة جديدة في تكيف الطفل للواقع إلا أنه لا يتخلى تواً عن «نرجسيته» إذ لا يكون الله في بادئ الأمر غير أداة سحرية يتوسل بها إلى تحقيق رغباته الطفلية .

٣- عند بزوغ التفكير الموضوعي تتسع آفاق الطفل فيرى عالماً شاسعاً ويخرج من حدود ذاته الضيقة ثم لا يلبث أن يربط بين الله وبين العالم ويصبح الدين من ثمة لا مجرد علاقة بينه وبين الله ، بل وحدة معقدة تنتظم الله والعالم وذاته في آن واحد .

٤ - يتنبه الطفل في السنوات الأخيرة من الطفولة إلى أن الله ليس ربه وحده بل رب قومه جميعاً وإلى أن الدين أمر لا غنى عنه للربط بين أفراد فئة

معينة من الناس أوسع من أسرته وأنه في نفس الوقت حد يفصل بين هذه الفئة وبين فئة أو فئات أخرى فالدين هنا مظهر ارتقاء في التكيف الاجتماعي من حيث أنه يزيد علاقات الطفل تشيعاً واتساعاً ولكنه قد يصير مظهر تنافر اجتماعي .

إن للنمو الديني وظيفة هامة هي تحقيق التكيف المتواصل والتوسع المستمر في الاستيعاب العاطفي للناس ولكن كما يصاب المرء في تطوره العقلي أو الانفعالي بالثبوت عند مرحلة بعينها من مراحل النمو ثبوتاً يعطل نضوج المرء ومواصلته رحلة النمو كذلك الحال مع النمو الديني فقد يبلغ المرء مرحلة الإحساس الملي ثم يثبت عندها فلا يسعه بعد ذلك أن يتكيف لمن هم خارج دائرة ملته ولذلك كان التعصب الديني أو التحامل الملي مظهراً لنضج ناقص ، أو كان أسلوباً قاصراً في التكيف فانعدام الأمن يفرض على المرء أن يتشبث بعلاقته الانفعالية بقومه ويتوجس خيفة من الأقوام الأخرى .

الصداقات في الطفولة المتأخرة :

يفضل كلاً من الأولاد والبنات في هذه المرحلة صحبة الأفراد الذين ينتمون لنفس الجنس ففي المهد يكون اهتمام الأطفال مركزاً حول أنفسهم وفي الطفولة المبكرة يسعى الأطفال إلى اللعب مع الأطفال الآخرين بصرف النظر عن جنسهم وفي سن ٦ـ ٨ يفضل الولد اللعب مع الأولاد وتفضل البنت اللعب مع البنات، وتصل الكراهية لأعضاء الجنس الآخر إلى أقصاها قبل البلوغ مباشرة ففي هذا

الوقت تنظر البنت إلى الأولاد على أنهم فوضويون ولا يصبرون على ما يثيرونه من ضوضاء وسوء خلق وعادة ما يناصبونهم العداء وتصطبغ اتجاهات البنات نحو الأولاد بصبغة انفعالية من اتجاهات الأولاد نحو البنات فالأولاد أكثر موضوعية من البنات ومحايدين وغير عدائيين في اتجاهاتهم نحو البنات .

وهناك سبب للاعتقاد بأن الاتجاهات المرغوبة من البنات نحو الأولاد في هذه السن تنبعث من اعتراض البنات على الحرية الكبيرة التي يتمتع بها الأولاد من ناحية ومن حقيقة أخرى مؤداها أن البنت عندما تصل إلى البلوغ تكون قد وصلت إلى مستوى أكبر من حيث النضج الاجتماعي الذي يصاحب نضجها الجنسي المبكر عن الولد مما يجعل سلوك الأولاد من أقرانها يبدو سلوكاً غير ناضج.

وهناك عدة عوامل تؤثر على اختيار طفل هذه المرحلة لأصدقائه فهو يختار أصدقاء كأولئك الذين يدرك أنهم يتشابهون معه والذين يشيعون حاجاته العميقة كذلك فإن القرب في المكان سواء في المدرسة أو الجيرة عامل هام في قيام الصداقة بين الأطفال لأن الطفل محدود بمجال ضيق في اختياره لأصدقائه وهناك ميل قوي للأطفال نحو اختيار أصدقائهم من نفس الصفوف الدراسية التي ينتمون لها .

وتعد السمات الشخصية عاملاً هاماً في اختيار الأصدقاء ومن السمات المفضلة المرح الودود، المتعاون، الحنون، الأمين، الكريم، المعتدل المزاح، الرياضي وكلما

اقترب الطفل من نهاية المرحلة فإنه يفضل الأصدقاء الذين يتشابهون معه في المستوى الاقتصادي الاجتماعي والسلامة والعقيدة .

العلاقة بين الأصدقاء :

عندما تتكون جماعة الأصدقاء فإن أفرادها يميلون إلى القسوة على الآخرين من غير أصدقائهم وأكثر أسرار العصبة يدور حول إبعاد الأطفال الآخرين الذين لا يرغبون كأصدقاء عن عصبتهم ويصل الميل للقسوة والغلظة مع الأطفال الآخرين من غير أصدقائهم إلى أقصاه في سن الحادية عشرة ويعاني الطفل الجديد لفترة معينة صعوبة قبول العصبة له كصديق جديد وعليه هو أن يبادئ بإقامة الصلات إذا كان عليه أن يصبح صديقاً وذلك بمحاولة الكلام واللعب مع واحد من الأعضاء القدامى في الشلة وملاحظة وتقليد ألعابهم ومحاولة جذب انتباههم نحوه قد يتجاهله أفراد العصبة في البداية أو يصدونه لمنعه إذا حاول مرة تلو المرة فقد ينجح في الحصول على اهتمام أحد أعضاء العصبة به ومن هذه الصلة قد يكسب مكاناً في العصبة .

وتعد العصبة من الوجهة الاجتماعية جماعة منظمة تنظيماً جيداً فلديها أسرارها وتحافظ على كيانها ضد أي غريب أو أولئك الذين لا يرغبهم أفراد العصبة كأعضاء فيها كما أن هناك قدر كبير من الصراع من أجل المكانة وتنتهي الصراعات عادة بإعادة تنظيم الصداقات ولذلك فصداقات الأطفال نادراً ما تتصف بالاستقرار فقد يتحول الطفل من صديق عزيز إلى عدو أو من علاقات

سطحية إلى صداقة وثيقة بسرعة ولأسباب تافهة ومن أكثر أسباب تغيير الصداقات كما يعبر عنها الأطفال أمور مثل الشجار ، والسيطرة ، وعدم الإخلاص ، والمكر ، والغرور ، والمعارضة ، والتنافر ، وكلما كبر الأطفال تصبح صداقاتهم أكثر استقرار وقد وجد أيضاً أن الأطفال الذين يتمتعون بشعبية بين أقرانهم كثيراً ما يغيرون صداقاتهم مثلهم في ذلك مثل الأطفال الذين لا يتمتعون بشعبية .

اللعب في الطفولة المتأخرة:

تسمى مرحلة الطفولة المتأخرة أحياناً بسن اللعب هذه التسمية في الواقع مضللة لأنها تفترض أن الطفل سيكرس أغلب وقته للعب ، هذا غير ممكن فالوقت الذي يمكن أن يتوفر للعب عند طفل المدرسة قليل جداً عما كان متوفراً قبل ذلك والاسم الذي يطلق على هذه المرحلة بأنها سن اللعب نبع من وجود تداخل بين أنشطة اللعب الخاصة بالصغار وتلك الخاصة بالمراهقين .

أهمية اللعب بالنسبة لطفل المدرسة الابتدائية :

- يجد في اللعب تنفيساً عن غضبه الشديد .
- نمو لكل أجزاء الجسم بما في ذلك العظام والعضلات والأجهزة الداخلية.
- تدريب يساعد على رفع شهيته ونومه نوماً صحياً .
- تنمية لكثير من المهارات التي ستصبح ذات أهمية وفائدة كبيرة في حياته .

- تنمية لقدرته على التركيز على العمل الذي يقوم به .
- مخرجاً ملائماً للتنفيس عن الغضب والغيرة والخوف .
- وسيلة لتعلم كيفية التعامل مع الأطفال الآخرين .
- يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يتوحد مع رغبات الآخرين .
- يتعلم من خلال اللعب كيف يتعاون وكيف يشارك الآخرين .
- يتعلم الطفل من اللعب الروح الرياضية (التي لا تتباهى بالنصر ولا تثور للهزيمة).
- يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يتوحد مع الآخرين .

وتتكون جماعة الأطفال من أطفال من نفس الجنس وتبدأ الجماعة أو الشلة عادة بثلاثة أو أربع أفراد ثم بازدياد اهتمام الأطفال بالألعاب الرياضية يزداد عدد الشلة تدريجياً بحيث يصبح هناك عدد كاف لتكوين فرق للعب وكقاعدة فإن شلل الأولاد أكثر عدداً من شلل البنات ويتأثر حجم الشلة بعدد الأطفال الممكن التقاؤهم والنشاطات التي يود أفراد الشلة الاندماج فيها.

وعادةً ما تكون الأنشطة التي تقوم بها شلل الأولاد من النوع غير المقبول من الكبار فعادةً ما تكون فيها مضايقة للناس مثل سرقة الفاكهة والتدخين ، أما شلل البنات فقليلاً ما تندمج في أنشطة غير مقبولة اجتماعياً وإن كانت في بعض الأحيان تقوم بأمور مثل التدخين وأحياناً السرقة من المحلات التجارية وأغلب وقتهم

يقضونه في الحديث أو جمع النقود من أجل الإحسان أو لعب مباريات أو عمل أشياء أو تمثيل أدوار درامية .

وتختلف أنشطة الجماعة من مجتمع لمجتمع ومن مستوى اجتماعي لآخر داخل المجتمع الكبير ورغم هذا فهناك تشابه من حيث ميلهم جميعاً إلى المباريات والرياضة والذهاب إلى السينما أو مشاهدة المباريات الرياضية واكتشاف البيئة أو حتى الجلوس معاً للكلام والأكل.

وعادةً ما يكون للجماعة مكان ثابت للقاء ، قد يكون ركناً في شارع أو قبو في منزل أو فناء أو حظيرة أو جراجً أو مكاناً مهجوراً أو غير ذلك ، وعادةً ما تكون أماكن لقاء الأولاد بعيداً ما أمكن عن المنزل ليكونوا بعيدين عن رقابة الكبار وتدخلهم في شئونهم أما البنات فكثيراً ما تكون لقاءاتهم الدورية في منزل أحدهن حيث يتوفر المكان والحرية ليفعلوا ما يحلوا لهن .

أنواع اللعب المرغوبة في هذه المرحلة :

يتوقف نوع النشاط الذي سيندمج الطفل فيه على مدى شعبيته فالأطفال الذين يعدون أعضاء مقبولين في الشلة يشتركون في الأنشطة الجماعية أكثر من أنواع النشاط الفردي والعكس صحيح بالنسبة لمن هم أقل شعبية ومن بين أنواع اللعب الشائعة والمحببة في الطفولة المتأخرة اللعب الإنشائي Constructive play جمع الأشياء، المباريات، والرياضة، أنواع التسلية مثل القراءة، والراديو، والتليفزيون، وأحلام اليقظة .

تأثير عصبة الأطفال :

إن خوف الطفل من أن يفقد مكانته في العصبة أو أن تنبذه إلا إذا توحد كلية معها يدفعه إلى التطابق مع معاييرها في الملبس والآراء والسلوك وعندما يبدأ الصراع بين المعايير الوالدية وتلك الخاصة بالعصبة يميل الطفل إلى التوحيد مع الأخيرة أكثر من الأولى .

ويتعلم الطفل من خلال التفاعل مع العصبة معنى التنافس مع الآخرين والتعاون معهم والعمل كعضو في فريق وأن يتقبل المسئوليات وكيف يتحمل نتائجها وأن يقوم بدور الآخرين عندما يبعدوا عن الجماعة أو يعاقبوا وكيف يكون ذو روح رياضية في الفشل وفي الفوز ومثل هذا التدريب على عملية التطبيع الاجتماعي والتي لا يمكن تحقيقها من خلال أي جماعة أخرى إلا من خلال هذا التفاعل اليومي مع زملائه من نفس السن يعد ذو قيمة بالغة بالنسبة للطفل وعبر السنوات التالية من حياته تزيد في أهميتها على الإزعاج المؤقت الذي يسببه الأطفال لآبائهم نتيجة لعلاقاتهم بشللهم .

نصائح للمربين

على الآباء والمربين مراعاة الأمور التالية حتى يمكن أن ينشأ أبنائهم تنشئة إسلامية :

١ - بعد سن العاشرة يتحول ذلك الطفل الوديع المطيع القابل للاستهواء إلى فتى راغب في النقد والتخلص من سلطان الكبار عليه :

لذلك يجب على الوالدين استيعاب هذه النزعات الجديدة ولا يعاملانه على أنه مازال طفلاً حتى لا يؤدي ذلك إلى تكوين اتجاهات غير ودية عنده نحوهما كما يستعملان معه أسلوب المناقشة واحترام الذات لا أسلوب الضغط والإكراه أي يتحدثان إليه بلهجة الصديق والأخ لا بلهجة الأب الآمر فالصديق يعرض على صديقة الذهاب إلى المسجد في شكل اقتراح لا في شكل أمر أي يعاملانه وكأنهما من جماعة الأقران خاصة وأنه في هذه السن قد يخالف أوامر الأب لمجرد إثبات أنه صار رجلاً كما يجب عدم التدخل في شئونه الخاصة بالقدر الذي كان يحدث من قبل والقول الشائع يقول: «إذا كبر ابنك خويه» أي اجعله أخاً لك وليس معنى هذا ترك الحبل على الغارب دون إشراف ولكن يكون الإشراف بشكل غير مباشر كما نهتم باختيار أقرانه فالولد سرعان ما يتحسن وترقى سلوكياته إذا صادف أقراناً أفضل منه .

وباختصار: فإن الأب إذا صادق أولاده وأشعرهم بحبه العظيم ومودته الفائقة فإنهم سيتأثرون به وسيفتحون له قلوبهم وسيطلعونه على مشاكلهم ولن يلجئوا إلى المفسدين لحلها .

٢- إن دور المجتمع الأول يتمثل فى تنمية الشعور القومى وخلق شخصية الطفل العربى المشبع بروح الانتماء للأرض والقادر على الدفاع عنها، الطفل المواطن الصالح القادر على الاشتراك فى مسيرة البناء الوطنى .

٣- وقرب البلوغ يبدأ الفتى في مقارنة حاله بحال أصدقائه الذين يزورهم في منازلهم وقد لا يرضى عن منزله وبخاصة إذا كان مستواه المعيشي أقل :

ويزداد هذا الإحساس حتى يصل إلى سن البلوغ لذلك يجب تعريفه بأهمية القناعة والرضا بما قسم الله وأنها من مكونات الإيمان بالقدر خيره وشره ونخبره بحديث رسول الله ﷺ : «انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم» أي أن ذلك أدعى إلى الشعور بنعم الله وحمده وعدم السخط وزاد رزين في رواية قال عون بن عبد الله بن عتبة : « كنت أصحب الأغنياء فما كان أحد أكثر هماً مني كنت أرى دابة خيراً من دابتي وثوباً خيراً من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت» (أخرجه الشيخان) ونعرفه أيضاً قول النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة المال الغنى غنى النفس»وقوله : «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ».

وتبرز أهمية الصحة الجسمية ونبين أنها أفضل من نعمة المال كما جاء في حديث الرسول ﷺ : «لا بأس بالغنى لمن اتقى والصحة لمن اتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم » (ابن ماجة وأحمد) والحديث فيه إشارة أيضاً إلى أهمية الرضى وطيب النفس بما قسم الله ونعرفهم أيضاً بقول النبي ﷺ: « سلوا الله اليقين والمعافاة فما أوتي أحد - بعد اليقين - خيراً من العافية » (رواه النسائي وابن القيم) وبذلك يطمئن الولد الفقير لقضاء الله فلا يتطلع إلى غيره من أبناء الأغنياء ولا تنقبض نفسه بل يكون إيجابياً راضياً بما قسم الله وليس معنى هذا ترك الأخذ بأسباب الغنى لحماية النفس من الفقر الذي كاد أن يكون كفراً والذي استعاذ منه نبيا محمد ﷺ .

٤ - تشجيعه على صلة الرحم وغيرها من السلوكيات الأسرية الراقية التي حث عليها الإسلام:

مثل بر الوالدين وتقبيل يديهما وشكرهما كلما أديا له خدمة والدعاء لهما وبر صديقهما وصلة رحمهما كأخوته وأقاربه وذلك بالإحسان إليهم حتى ولو أساءوا إليه وصلتهم حتى ولو قاطعوه والحلم عليهم حتى ولو جهلوا عليه لما ورد عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئوا إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»(مسلم). والملل هو الرماد الحار وأيضاً

قول النبي ﷺ : «أفضل الصدقة، الصدقة على ذي الرحم الكاشح» (رواه الطبراني في الكبير) والكاشح هو الذي يضمر عداوته ويعد ذلك أفضل الصدقة لأنه ذو رحم من ناحية ومضمر للعداوة من ناحية أخرى وصاحب هذه الصدقة لا يتوقع الشكر منهم على صدقته .

٥- تشجيعه على علاقات الأخوة والحب في الله تعالى مع أقرانه وتعريفه بثواب التحاب في الله والتزاور فيه :

وأيضاً تحذيره من أسباب الخصام والتنابز وتحفيظه مثل حديث رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه » (مسلم) كما نبرز له نماذج من الحب والإيثار والتضحية التي كانت تسود جيل الصحابة .

٦- تعويده على محبة الخير لكل مسلم :

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» لقد شبه الرسول ﷺ المؤمنين في هذا الحديث بالبنيان كل لبنة فيه تساند الأخرى وتقيم معها البناء وأي خراب أو ضعف في لبنة فإنه لابد من تأثيره في باقي اللبنات على مدى الزمن إن لم يحصل تدارك وعلاج» ومن هنا كانت محبة الخير لكل مسلم أمر واجب في الإسلام ولازمة من لوازم الإيمان وأثر من آثار العقيدة السليمة النقية ولذلك قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم : «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ولنتأمل هذه الصورة الرائعة التي تعطي فكرة واضحة عن أحاسيس ومشاعر المسلم الصادق تجاه المسلمين بل وتعبر أيضاً عن سلوكياته وأخلاقه معهم أخرج الطبراني عن أبي بريده الأسلمي قال : شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وإن فيّ ثلاث خصال إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم ، وإني لأسمع الحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به سائبة » .

وهنا طريق هذه المحبة يحدث التكامل بين أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم: «فالمؤمن الذي يحب الخير لكل المسلمين إن رأى في أحدهم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله ، مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوا بالمواعظ عن فاعليتهم وأشفقوا على أبدانهم من النار ولا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يرضى لناس ما يرضاه لنفسه وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها»، وذلك مصداقاً لقوله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين:٢٦] .

وهكذا يتحقق للأطفال أقصى درجة من العناية والرعاية والتربية والإرشاد فالكل يسعى في تناغم وتكامل لخيرهم ولمصلحتهم فالآباء والمربون يرون النقائص فيعالجونها ومن حسنات الآخرين لهم يأخذون أما باقي أفراد المجتمع فهم على إيصال ما لديهم من فضائل حريصون ولهدايتهم عاملون .

٧- تعليمه كيفية النصح لكل مسلم :

روى الإمام مسلم عن تميم الداري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة قلنا لمن قال : لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم ».. إن المجتمع المسلم حينما يقوم على دعائم وأسس قوية من الإيمان بالله عز وجل والتآخي والمحبة لابد وأن يحاط بأسوار تحمي هذه الدعائم وتقويها فشرعت النصيحة لأعوانه فالنصيحة تنفي الأخطاء وتعين على السير في الطريق المستقيم وهي بمثابة المصحح للمسار المعوج الذي تجنح إليه النفس البشرية أحياناً فمن هنا جاءت مبالغة الرسول ﷺ في تعريف الدين بأنه النصيحة أي أن عماد الدين وقوامه قائم على النصيحة .

وكان السلف الصالح يسارعون في إبداء النصيحة لأنهم بايعوا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم فلابد من الوفاء بالبيعة فإن من قصر لحقه الإثم روى الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال:

«بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم» وتمر الأيام وجرير بن عبد الله رضي الله عنه على عهده مع رسول الله ﷺ «فلم ينس شروط البيعة بل ظلت عالقة في ذهنه يحرص على تطبيقها وخصوصاً شرط النصح لكل مسلم فتراه في كل أحواله ناصحاً للمسلمين فلقد أمر مولاه ذات يوم أن يشتري له فرساً فاشترى فرساً بثلاثمائة درهم وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن (أي كي يعطي جرير النقود لصاحب الفرس) فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك لك يا أبا عبد الله فقال جرير: لفرسك خير من ذلك أتبعيه بخمسمائة درهم ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصحابه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها فقيل له في ذلك فقال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم».

ولكي ندرك مدى النفع المتحقق للأطفال من التناصح فلنتأمل في معنى (النصيحة لكل مسلم) أو (النصيحة لعامة المسلمين) بما فيهم بل وعلى رأسهم الأطفال فهي تعني إرشادهم لمصالحهم في دنياهم وأخراهم وكف الأذى عنهم وستر عورتهم ودفع خلاتهم (قضاء حوائجهم) وإبعاد المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم وأن يعلمهم ما يجهلون من دينهم ويحب لهم ما يحب لنفسه ويكره ما يكرهه لنفسه والحفاظ عن أموالهم وأعراضهم».

٨- أهمية التكافل مع كل مسلم :

إن التكافل في الإسلام عنوان الأخوة الصادقة وسبيل المحبة الخالصة وطريق الفرحة الغامرة ، به ندخل الجنان ويحل علينا الرضوان أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-عن النبي ﷺ قال : « المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن ، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه » وأخرجه الترمذي ولفظه : « إن أحدكم مرآة أخيه فمن رأى به أذى فأماطه عنه»وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لصبيانه: تجاوزا عنه عسى الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه» وأخرج الطبراني من حديث عمر مرفوعاً: «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجته» .

وللتكافل أنواع عدة تتكامل مع بعضها لتنتج مجتمعاً قوامه الهدى وعماده التقى تسوده المحبة وتعمه المودة فمنه (التكافل المادي) لقوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم:« من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً سترة الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

ومنه أيضاً (التكافل النفسي) لأن من حق الأخوة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهيرون له في فالسراء والضراء وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها بل إن قوى

المسلمين تساندها وتشد أزرها قال رسول الله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ومن ثم كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة لا نعمة التعاون المادي فحسب بل نعمة التكافل النفسي كذلك ».

هذا بالإضافة إلى (التكافل العلمي) الذي يشير إليه الإمام الغزالي بقوله: « فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فإن كنت غنياً بالعلم فعليك مواساته من فضلك فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة .. »

ويأتي على رأسها ومتوجاً لها (التكافل الإيماني الروحي) لأن المؤمنين يحتاجون إلى جلسات تفكر وتأمل يفيض فيها كل أخ على أخيه من صفاء روحه وقوة إيمانه ما يساعدهما على مواصلة السير الصادق إلى الله عز وجل لذلك قال ابن رواحه لأبي الدرداء رضي الله عنهما-وهو آخذ بيده «تعالى نؤمن ساعة إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانا » .

وللتكافل-بأنواعه المتنوعة المتكاملة مردود إيجابي كبير على الأطفال نراه عملياً فيما صنعه النبي ﷺ وصحبه الأطهار وأتباعهم الأبرار أخرج الإمام أحمد من حديث بنت الخباب بن الأرت قالت: خرج خباب في سرية فكان النبي ﷺ يتعاهدنا حتى يحلب عنزة لنا في جفنه لنا فتمتلئ حتى تفيض فلما قدم خباب حلبها فعاد حلابها إلى ما كان، وروى أبو داود قال: «خرج زيد بن حارثة إلى مكة فقدم بابنة حمزة، فقال جعفر: أنا آخذها أنا أحق بها هي ابنة عمي وعندي خالتها

وإنما الخالة أم وقال علي: أنا آخذها أنا أحق بها، هي ابنة عمى وعندي ابنة رسول الله ﷺ فهي أحق بها وقال زيد: أنا أحق بها هي ابنة أخي وإنما خرجت لها وسافرت وقدمت بها فقضى بها رسول الله ﷺ لجعفر وقال: الخالة أم».

«وكان من السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينة بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت ؟ هل لكم ملح ؟ هل لكم حاجة؟.. وكان يقوم بها من حيث لا يعرف أخوه ..» .